اثر ابن خلدون
في تكاملية علمي التاريخ والاجتماع
(السوسيولوجيا التاريخية)

أ.د/ علي العبيدي
جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان

ملخص:

قد لا يختلف اثنان على أن علمي التاريخ والاجتماع وجدا في حالة من التلازم فيما بينهما منذ البداية. واستمرت هذه التلازمية موجودة حتى تمكن علم الاجتماع بالتدريج، من فك الارتباط أو التبعية للتاريخ في وقتنا المعاصر. ولكن تبقى حالة التكامل بينهما على اعتبار أن كلاهما يعمل على دراسة الظواهر الاجتماعية. وان كانا يختلفان من حيث القواعد المنهجية والعملية التي يتم فيها دراستها، علما أن هذا الاختلاف يكمن، بشكل أساس، في إجراءاتهما للإجابة المرتبطة بأغراض البحث. وجاء اختيار ابن خلدون ليكون دليلنا في بيان هذا المسألة، فهو يجسد هذه التكاملية. وان كانت انطلاقته كمؤرخ ذا دراية في العمران البشري، مما مكنه من وضع أسس علم العمران (الاجتماع). ومن هنا جاء اختيارنا له، وسنحاول معالجة هذه الإشكالية من خلال صفحات البحث القادمة

Abstract:

Everyone knows that History and Sociology are two complementary sciences from the beginning. And this complementarily continued to exist until sociology

was able, from the disengagement or dependence of history to modern times. But the case of integration between them is always linked to the reason that the two work together on the study of social phenomena. And that they differ in methodology and the practical rules in which they are studied, note that this difference is the basis, in their actions to answer the questions link to the research.So we chose Ibn Khaldun in this article to study this problematic, because he embodies this complementarily, although his beginnings were as a historian who knew about human urban planning, which enabled him to To lay the foundations of urbanization (Sociology). That is why we have chosen it, and we will try to solve this problem thr- ough the pages of this article.

مقدمة:

من المعروف أن ميداني التاريخ والاجتماع وجدا في حالة من التلازم فيما بينهما، واستمرت هذه التلازمية موجودة حتى تمكن علم الاجتماع، بالتدريج، من الابتعاد عن هذه الارتباط أو التبعية، أن صح التعبير، للتاريخ. ونتيجة ذلك، افرز هذا الانسلاخ حالة من التنافس بين الاثنين على اعتبار أن كلاهما يعمل على دراسة الظواهر الاجتماعية. ومع كونهما يختلفان من حيث القواعد المنهجية التي يتم فيها دراسة تلك الظواهر، علما أن هذا الاختلاف يكمن، بشكل أساس، في إجراءاتهما للإجابة المرتبطة بأغراض البحث. وعلى الرغم من وحدة المصدر الذي يستقي منه المؤرخ والاجتماعي معلوماتهما، إلا أن الاختلاف المنطقي يكمن بين الطرفين فيما يتعلق بآلية تعامل كل منهما مع تلك البيانات وكيفية توظيفهما لها. وذلك لان مهمة المختص في علم الاجتماع هو التعميم، بينما من مهام المؤرخ دراسة الحدث من حيث التركيز على الخصائص الدقيقة له. ومع ذلك كلاهما لدية مشروعية علمية لاغبار عليها. لأنهما من جهة أخرى هما متكاملان أكثر من كونهما متعارضان، وذلك لان رؤية الحوادث مفردة يخدم في إمكانية تصنيفها في فئات معينة، من خلال العلاقة المتلازمة بينهما[1].

علمي التاريخ والاجتماع: جدلية الترابط والية التكامل:

ولكي نفهم خصوصية كل من التاريخ والاجتماع علينا إلقاء نظرة سريعة على المنهجية التي يتبعها كل واحد منهما إلى جانب الميدان الذي يتناولاه. وفي هذا الميدان كتب الكثير من الكتاب،

ولكن بشكل مختصر نستطيع أن نعرف علم الاجتماع على انه العلم الذي يدرس الإنسان والمجتمع دراسة علمية تعتمد على المنهج العلمي وما يقتضيه هذا المنهج من أسس وقواعد وأساليب في البحث فهو يدرس المجتمع ككل في ثباته وتغيره ويدرس الإنسان من خلال علاقته بالمجتمع[2]. بمعنى أخر فهو العلم الذي يهتم اهتماماً كبيراً بالأفعال والعلاقات الإنسانية، كما انه يدرس المجتمع، وبناءه، ووظائفه وعملياته، وهذه تدخل أيضاً ضمن اهتمامات المؤرخ[3].

ومن خلال ما سبق، يمكننا القول أن نقاط الالتقاء بين التاريخ والاجتماع أكثر عمقا من نقاط الاختلاف، ومن بين نقاط الالتقاء نذكر[4]:

1. إن التاريخ والاجتماع نوع من الدراسة التاريخية.
2. المؤرخ غالبا ما يقدم مادة يستعين بها عالم الاجتماع.
3. يستفيد المؤرخ من علم الاجتماع كما يستفيد من الفلسفة التي كان يستمد منها المفاهيم والأفكار العامة وأصبحت الآن تؤخذ من علم الاجتماع.
4. كلاهما يتأثر بقدر متساوي بفلسفة التاريخ التي تؤكد للمؤرخ تصور المراحل التاريخية وتمنحه أفكاراً نظرية، كما أنها تزود علم الاجتماع بفكرة النماذج التاريخية للمجتمع.
5. إن التاريخ وعلم الاجتماع يستخدمان نفس الإطار المرجعي الرسمي في دراسة نماذج المجتمع.

إما وجه الخلاف بين علم التاريخ وعلم الاجتماع فينحصر باختلاف لايعدو حيزاً غير منظور حسب قول تروفر روبر(Trevor Roper):" أن المؤرخ يهتم بالتفاعل بين الشخصية

والقوى الاجتماعية العامة، بينما يعني عالم الاجتماع عناية واضحة بهذه القوى الاجتماعية ذاتها"[5].

ومن هنا نستطيع القول، أن هذا التداخل بين علمي التاريخ والاجتماع أسس لتصور يدعو إلى ضرورة أن تنشا تكاملية بينهما، لان علم التاريخ يقدم للباحث في علم الاجتماع الدلائل والوقائع الموثقة من اجل انجاز دراسته، في حين بالمقابل يقدم علم الاجتماع للمؤرخ الرؤية الاستدلالية للحدث التاريخي ممثله في نماذج وصور تسهل عليه الوصول إلى الاستنتاجات الدقيقة والحقيقية[6]. وهكذا فان العلاقة وثيقة جدا بين علمي الاجتماع والتاريخ، حتى أن احد مشاهير الكتاب، وهو جورج هوارد (George E. Howard)، ذهب إلى القول بان:" التاريخ هو علم اجتماع الماضي وعلم الاجتماع هو تاريخ الحاضر"[7]. وعليه، فاننا نجد ان جدلية الترابط بين الاثنين قائمة ومشهودة، وتتجلى في ادق صورها في خص عالم من علماء المسلمين، وهو ابن خلدون ذاك المؤرخ الشهير ومكتشف علم العمران(الاجتماع)، ومن هنا جاء اختياره ليكون النموذج الذي من خلاله يمكن تأكيد ما ذهبنا اليه في عنوان بحثنا.

جوانب من حياة ابن خلدون:

ابن خلدون شخصية لاحاجة لنا إلى التعريف بها، فهو أشهر من أن يعرف، فهو يعد من أعظم المفكرين في العالم. وقد جاءت شهرته من كونه أول من درس المجتمع البشري بطريقة واقعية حيث خرج بها عن الطريقة الوعظية التي كانت قد سيطرة على الأذهان طيلة القرون القديمة والوسطى كما يشير إلى ذلك

الدكتور علي الوردي[8]. وهو الذي كتب بحقه الكاتب الانكليزي روبرت فلنت، احد أعلام فلسفة التاريخ، قائلا: "فيما يتعلق بالعلوم أو الفلسفة، كان في الأدب العربي يبرز اسما لامعاً، لم تستطع الحضارة الكلاسيكية القديمة، ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى ان تقدم اسما واحد يمكن أن يقترب منه في مكانته وسمعته. ويقف ابن خلدون(1332-1406م)على رأس المؤرخين العرب من حيث القيمة ومكانة العلمية، ولم يكن هناك من يضاهيه في الكتابة التاريخية احد حتى ظهور فيكو بعد مرور أكثر من ثلاث مائة سنة. ويمكننا ان نضعه جنبا إلى جنب مع أعلام الفكر الإنساني، أمثال: أفلاطون، أرسطو، وأوغسطين. لق كان ابن خلدون محط أعجاب الجميع لما امتاز ت به كتاباته من الأصالة، الحصافة، العمق والشمولية. لقد فريد عصره ووحيد زمانه بين أبناء جلدته في موضوع فلسفة التاريخ، مثلما كان دانتي (Dante) [9] في الشعر أو روجر بيكون(Roger Bacon) [10] في مجال العلوم وسط مجتمعاتهم ومعاصريهم. لقد وضع ابن خلدون أسس الكتابة التاريخية العربية، حيث تميز بالياته وأدواته المنهجية التي انفرد بها عن معاصريه، وتتجلى قيمة آرائه في التاريخ في مقدمته التي وضعها تمهيدا لكتابه العبر"[11]. ونال من المدح والتقدير من علماء عصره الكثير، فهذا ابن حجر العسقلاني يبرز قيمته ومكانته في مختلف العلوم، ومنها علم التاريخ، حيث يقول:"اجتمعت به مرارا، وسمعت من فوائده وتصانيفه، خصوصا في التاريخ"[12]. وفي مناسبة أخرى يبرز أهمية كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام تاريخ العرب والعجم والبربر)، حين قال:"وصنف التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة، ظهرت فيه فضائله، وابان فيه

عن براعته، ولم يكن مطلعا على الأخبار جليتها، لاسيما أخبار المشرق، وهو بين لمن نظر في كلامه"[13].

ومن معاصرينا، أشاد الدكتور علي عبد الواحد وافي في مقدمة كتابه(عبد الرحمن بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته) بالقول:"في مقدمته التي انشا فيها علما جديدا، هو ما نسميه الآن (علم الاجتماع) أو (السوسيولوجيا)، آتى فيها بما لم يستطع احد من قبله أن يأتي بمثله، بل بما عجز كثير ممن جاء بعده من ائمة علماء الاجتماع أن يصل الى شأوه، والتي تدل بحوثها على رسوخ قدمه في طائفة كبيرة من العلوم الأخرى، وعلى انه – بجانب ما ابتكره وما رسخ قدمه فيه- لم يغادر أي فرع آخر من فروع المعرفة الا الم به"[14]. ان كل هذا المديح والاطرا على ابن خلدون، يظهر لنا مدى شهرته ومكانته في عصره، وما بعده. ولكن هذا لا يمنع من التوقف عند بعض المحطات الهامة في حياة ابن خلدون من اجل التعريف بهذه الشخصية التي اخترناها كنموذج في تبيان تكاملية علمي التاريخ والاجتماع.

هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الاشبيلي الأصل التونسي المولد، الشهير بـ"ابن خلدون". نسبه الى حضرموت، من عرب اليمن إلى وائل بن حجر، من قبائل العرب، اصل بيتهم من اشبيلية، ثم انتقلوا منها عند الجلاء، وغلب ملك الجلالقة ابن اذ فونش عليها الى تونس في أواسط المائة السابعة. ولد في تونس في غرة رمضان سنة 732ه/ 27 ماي 1332، وفيها تتلمذ على يد عدد من المشايخ، مثل: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني، بن قاسم محمد القصير، أبي محمد عبد

المهيمن الحضرمي وأبي عبد الله الابلي، أبي عبد محمد بن برال الأنصاري، أبي عبد الله محمد بن العربي الحصائري، والوادي أشي وأبيه وغيرهم من المشايخ الذين ساهموا في صقل قدراته وإمكانياته[15]. ودلالة على تنامي معارف وقدرات ابن خلدون كتب ابن حجر العسقلاني يقول:"برع ابن خلدون في العلوم ، وتقدم في الفنون، وبهر في الأدب والكتابة"[16].

واخذ ابن خلدون يتطلع إلى الوظائف العامة والسير في الطريق نفسه الذي سار فيه أجداده فوصل إلى أعلى مناصب الحكم في عهود عدة سلاطين وفي دول مختلفة، ونتيجة ذلك، تولى مناصب متنوعة، مثل: كتابة السر، وخطة المظالم، وصار وزيراً وحاجباً وسفيراً ومدرساً وقاضياً وخطيبا[17]. وهذا التنوع في المناصب تطلب منه التنقل في مدن العديد من المغرب الإسلامي والأندلس[18]، مثل: فاس، بجاية ثم انتقل للأندلس(غرناطة) [19]، وتلمسان ومراكش ثم عاد الى تونس سنة 780ه، ولكنه تركها هاربا الى المشرق في شعبان سنة 784ه ، واستقر في القاهرة وهناك وليه قضاء المالكية، وتصدر للإقراء في الأزهر. وعرف عنه تدينه فضالته، فهو صاحب اخبار ونوادر وخفة الحضور[20]. في حين امتدحه ابن الخطيب في كتابه(الإحاطة في أخبار غرناطة)، بالقول:"هذا الرجل الفاضل حسن الخلق، جم الفضائل باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، اصيل المجد، وقور المجلس، خاصي الزي، عالي الهمة، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، قوي الجأش، طامح لقنن الرياسة، خاطب للحظ، متقدم في فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، معري بالتجلة، جواد الكف، حسن العشرة، مبذول المشاركة، مقيم لرسوم التعين، عاكف على رعي

خلال الأصالة، مفخرة من مفاخر التخوم المغربية"[21] ابن الخطيب 517. فيما يعلق الدكتور مصطفى الشكعة واصفا شخصية ابن خلدون بالقول:"كانت شخصية ابن خلدون جذابة في كل جوانبها، ولكن جانبين اثنين منها قد جذبا أنظار القدامى والمحدثين من الباحثين، أما الجانب الأول فهو الجانب الفكري والثقافي، أما الجانب الثاني فهو الجانب السياسي"[22].

وهكذا، نجد إن ابن خلدون سعى دائماً من أجل العلم والمعرفة فكان مطلعاً على أراء العلماء السابقين، فعمل على تحليل الآراء المختلفة ودراستها، ونظراً لرحلاته في العديد من البلدان في شمال إفريقيا والشام والحجاز وعمله بها وإطلاعه على كتبها، فقد اكتسب العديد من الخبرات وذلك في عدد من المجالات سواء في السياسة أو القضاء أو العلوم، فجاءت أفكاره التي وصلت إلينا تتمتع بقدر كبير من العلم والموضوعية.

قدم ابن خلدون عدد من المؤلفات الهامة نذكر من : (المقدمة)، وهو المؤلف الأشهر، والتي قام بإنجازه عندما كان عمره ثلاثة وأربعون عاماً، وعلق السخاوي على قيمة (المقدمة) وفوائدها، بالقول:"حوت مقدمته جميع العلوم وجلت عن محجتها السنة الفصحاء فلا تروح ولا تحوم ولعمري ان هو الا من المصنفات التي سارت القابها بخلاف مضمونها"[23]. ومن الكتب التي احتلت مكانة هامة أيضاً نجد كتاب:(العبر وديوان المبتدأ والخبر) والذي جاء في سبع مجلدات " حيث يقوم في هذا الكتاب بمعالجة الظواهر الاجتماعية والتي يشير إليها في كتابه باسم "واقعات العمران البشري. كذلك يشير ابن الخطيب إلى عدد من المؤلفات الأخرى، منها: شرح قصيدة البردة، وكتب معلقا على

شرحه بالقول:"شرح القصيدة المسماة البردة شرحا بديعا، دل فيه على انفساح ذرعه، وتفنن إدراكه، وغزارة حفظه"[24].كما أشار الى انه لخص كثرا من كتب ابن رشد، واختصر كتاب(المحصل) لفخر الدين بن الخطيب الرازي، وألف كتاب في الحساب، وأصول الفقه، فضلا عن أعمال نثر وشعر متعددة[25].

ان ابن خلدون ذاك العالم الموسوعي، والذي يعد قطبا من أقطاب الفكر العربي الإسلامي، تجلت عبقريته ونبوغه في الكثير من النواحي، مثل : التاريخ والاجتماع، التربية والتعليم، علوم الحديث وغيرها من العلوم والفنون. والتي لخصها الدكتور علي عبد الواحد وافي في النقاط التالية[26]:

- المنشئ الأول لعلم الاجتماع.
- امام ومجدد في علم التاريخ.
- امام ومجدد في فن(الاتوبيوجرافيا)، أي ترجمة المؤلف لنفسه.
- امام ومجدد في اسلوب الكتابة العربية.
- امام ومجدد في بحوث التربية والتعليم وعلم النفس التربوي والتعليمي.
- راسخ القدم في الفقه المالكي[27].
- طرق جميع ابواب فروع المعرفة التي كانت معروفة في زمانه.

توفي عالمنا الجليل ابن خلدون بشكل مفاجئ في 26 رمضان سنة 808ه الموافق 16 مارس 1406 عن عمر ناهز 76 سنة ودفن في مقابر الصوفية خارج أسوار القاهرة[28]. وعلق

الدكتور علي عبد الواحد وافي على وفاته قائلا:"وهكذا أطفئت سرج الحياة وثابة مليئة بالنشاط وحافلة بجليل المآثر ورائع التفكير والابتكار"[29].

ابن خلدون: خاصية النبوغ في التاريخ وابتكار الاجتماع:

اولا: ابن خلدون المؤرخ:

في بدايات البناء الحضاري والفكري للعرب المسلمين، حينما صنفوا علومهم تأثروا بالمنهج الأرسطي الذي لا نجد فيه مكانا للتاريخ، ونستحضر مثالا على ذلك في كتاب (إحصاء العلوم) للفارابي. ولعل الخوارزمي في مفاتيح العلوم يعتبر أول عالم مسلم يدخل التاريخ في تصنيفه، وإن دعاه (بالأخبار) وجعله في جملة (العلوم الشرعية) في مقابل (علوم العجم)، وعلى نحو ذاته يذهب معاصره ابن النديم في كتابه (الفهرست) فجعل التاريخ، وقد دعاه (بالأخبار والسير)، في جملة العلوم الأصلية في مقابل (العلوم الأجنبية). وعندما استقرت الحال بالحضارة العربية الإسلامية في ذروتها، جرى تعديل تصنيف العلوم، الذي التزم به ابن خلدون، فصارت هناك (علوم نقليه) وأخرى(علوم عقلية)، وتضمنت العلوم النقلية كل ما يتعلق بعلوم القرآن والحديث والفقه والكلام وما إليها، فيما صار المعنى بالعلوم العقلية هي علوم المنطق والرياضيات والطبيعة وما بعد الطبيعة وما إليها[30].

وقد اثار البعض ممن تناول مسيرة ابن خلدون بالدراسة، مسالة تجاهله تصنيف التاريخ في أي من التصنيفين (العقلي والنقلي) في مقدمته [31]. و لكن الدكتور سالم حميش يرد على هذ

الرأي، بالقول:"هذه الملحوظة ليست صائبة بما أن التاريخ عند صاحبنا هو مقدمة المقدمة ودائرة الدائرة، حيث هو فن أصيل في الحكمة عريق، وجدير بان يعد في علومها وخليق"[32]. وتأكيداً لما ذهب اليه الدكتور سالم حميش، نجد ان ابن خلدون يقدم تعريفاً منطقياً للتاريخ في مقدمته، حين يقول:" التاريخ فن من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والإغفال وتتنافس فيه الملوك والاقيال وتتساوى في فهمه العلماء والجهال إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعد في علومها وخليق"[33]. وفي مكان آخر يقول:"اعلم أن فن التاريخ عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط؛ لان الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني"[34].

ومن خلال ما سبق يعبر ابن خلدون عن رفضه لمنهج الإسناد الذي يركز على نقد الرواة، ويعبر عنه(علم الجرح والتعديل)، كما يرفض منهج (التقليد) الذي يركز على النقل عن أئمة المؤرخين ويسلم بصدقهم، ويجعل مقصده دراسة الواقعة المفردة كما هي بنظر العقل وليس غير العقل، ويرفض أي خبر لا

تسنده قوانين(العمران) أي المجتمع، ويأتي بأمثلة من أحقاب تاريخية شتى تدعم هذه الفكرة[35]. ويرى الدكتور عبادة كحيلة من أن ابن خلدون هو أول مفكر عربي ينتزع علم التاريخ من جملة (العلوم النقلية)، ويصنفه علما عقليا، وانه من طائفة العلوم النقلية[36].

وبما التاريخ فرع من فروع البحث والاستقصاء للوصول إلى الحقائق الدقيقة والفهم الصحيح للماضي. ولأن للتاريخ وظائف نقدية واجتماعية ونفسية وتعليمية، ولأننا جميعاً أسرى لماضينا، بمعنى أن اختياراتنا محددة بما مر في الماضي، فان من المهم على نحو كبير أن نحاول تحرير تاريخنا من الأساطير والخرافات[37]. وعليه، فأن قراءة ابن خلدون للتاريخ لم تكن ذات خصوصية مختلفة عن من كتب التاريخ من قبله. ولكن الجديد الذي جاءه به، ويستحق التوقف عنده، هو تصوره أن دراسة التاريخ الحقيقي لابد أن تتم من خلال تناول جوهر الحدث، وليس من خلال دراسة الظواهر البادية على السطح للحدث. ويؤكد هذا الرأي صراحة الدكتور محمد عابد الجابري، مستعينا بما كتبه ابن خلدون عن فهمه للتاريخ ودراسته حينما يقول: "انه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بان يعد في علومها وخليق"[38].

لم يكن اهتمام ابن خلدون بالتاريخ وأحداث الماضي من باب التسلية أو ملا الفراغ، وإنما نظر إليه على انه الميدان الذي يستطيع من خلاله الإنسان الأخذ بالكثير من التجارب والعبر، بما يمكنه من فهم الحاضر. وعليه فان ابن خلدون لم يتجه للتاريخ من

اجل كتابة أحداثه بقدر ما أراد أن يستفتيه، ويطلب منه الدروس التي من شانها أن تساعده على فهم الحاضر ومشاكله التي تشبع وعيه بمعطياتها دون أن تتبلور في ذهنه عناصر التفسير واضحة كاملة. وبحجم التجربة السياسية والاجتماعية التي تمتع بها ابن خلدون فقد اكتشف استحالة تقبل ما كتبه المؤرخون من دون أن يتم إخضاع مضمون ذلك للنقد والتحليل كما أشرت من قبل. ومن هنا لا يمكن أن نعتبر ابن خلدون مؤرخاً صنعته الصدفة، بقدر ما هو ذلك المؤرخ المتمرس الذي استطاع أن يجمع بين المتغير السياسي والاجتماعي للخروج برؤية جديدة تقدم تفسيرا لما كانت عليه الأمة[39]. لاسيما وان عصر ابن خلدون تزامن مع مرحلة أفول الحضارة العربية الإسلامية، وأصبح ممكنا النظر للتاريخ الإسلامي كحالة متكاملة، بما يمكننا من فهمه فهما أفضل وأحسن[40].

ويتضح لنا من خلال ما سبق، أن منهج ابن خلدون قائم على أساس عقلاني علماني، أن صح التعبير، فهو يحاول إيجاد الثوابت التاريخية والاجتماعية، ولا يلجا إلا إلى الملاحظة التجريبية الثابتة، دون الاستعانة نتيجة ذلك، بأية تدخلات فوق طبيعية. ومقدمته، بلا أدنى شك، خير دليل على ذلك، فهي تركز على التحليل السياسي من دون الدخول في الغيبيات[41].

لقد حاول ابن خلدون أن لا يكون تقليدياً في نظرته للتاريخ، وحاول التخلص من النظرة الضيقة التي درج عليها من سبقوه في تعاملهم مع الحدث التاريخي. فهو يرى أن التاريخ لا يمكن أن تنحصر روايته بما حدث من فتوحات ومعارك، وما تأسس من دول عبر التاريخ البشري، بل يجب إن يتعامل المؤرخ مع كل

التحولات التي تشهدها الحياة الاجتماعية، على اختلاف مظاهرها. فالمتغيرات الاقتصادية والثقافية والعلمية لها أثرها في تغير مسار الأحداث. وهي بدورها تؤثر على سير الأحداث التاريخية[42]. ومن هنا، جاءت نظرة ابن خلدون للتاريخ مختلفة بعض الشي عما سبقه من كتاب في هذا الميدان. لان تداخلات وقائع الماضي مع أحداث الحاضر، ونتيجة تجربته السياسية والاجتماعية، بلورت في ذهن ابن خلدون العديد من الملاحظات والقراءات لتصبح من بعد نظريات اجتماعية وسياسية عظيمة. ويصفها هنا الدكتور محمد عابد الجابري، بالقول:" لقد كانت هذه النظريات في الأصل براعم مغلقة، زرعت بذورها ملاحظات لاواعية لما يجري في الحاضر، وقد كان يمكن لها أن تبقى كذلك إلى أن تتلاشى وتموت، ولكن النظر في التاريخ، وبالضبط في أخطاء المؤرخين، قد فتحها، فأصبحت أفكاراً واعية تتغذى من جديد من استقراء حوادث الحاضر والماضي معا"[43].

أن التاريخ في مفهوم ابن خلدون ليس مجرد حوادث تتعاقب في الزمان دون خضوع لعوامل معينة، بل هناك خيوط تنظم هذا التعاقب، وثوابت توجه مسراه ومجراه، فكما الحوادث الطبيعية تجري وفق قوانين معينة فان الوقائع الاجتماعية والتاريخية هي الأخرى لها طبائع خاصة بها أيضا[44]. لقد كان منجز ابن خلدون في ميدان علم التاريخ من القيمة والأثر ما يجعله في طليعة من كتبوا فيه، ودليلنا في هذا الاهتمام المنقطع النظير بما قدمه فيه. لقد جاء لنا ابن خلدون بنظرية التعاقب الدوري للحضارات بما يؤكد على علو كعبه في علم التاريخ، وإدراكه التام لمكنوناته وغاياته، وهي النظرية التي غدت أساساً ينطلق منه الآخرين قيما بعد. وفي هذا كتب الدكتور محسن محمد حسين،

قائلا:"ونظرية الدورات(او المراحل) أو التعاقب الدوري للحضاري هي إحدى نظريات أصحاب (فلسفة التاريخ) الذين لم تخل تصوراتهم لحركة التاريخ من محاولة لإيجاد إيقاع منتظم مترابط بين قيام ونمو الدولة وتطورها، وأخيراً تدهورها. وقد أسس ابن خلدون أساس هذه النظرية وأعقبه المنظر الايطالي المعروف فيكو ثم شبنكلر، ورغم ما بينهم من اختلاف في تفاصيل نظريتهم، وأبعادها الفلسفية والاجتماعية والسياسية وكذلك التاريخية"[45].

أخيراً، لقد حاول البعض التشكيك بقدرات ابن خلدون[46]، وعدم الاعتراف بأصالة فكره، وانه انتحله من غيره، ثم نسبه إلى نفسه، يستندون في ذلك إلى أن عصره، لم يكن عصر ابتكار، إنما هو عصر تجميع تشهد عليه المؤلفات الموسوعية التي هي سمة عامة للعصر المملوكي في مصر والشام[47]. ولكن هذا لايعني تقليل من شان ابن خلدون بقدر ما هو دلاله على الجدلية التي أثارتها شخصيته ودورها في ترسيخ منزلة العالم العربي المسلم في ميدان الإبداع والتميز.

ثانيا: ابن خلدون رائد علم الاجتماع :

يعتبر ابن خلدون أول من دعا إلى إنشاء علم العمران البشري(علم الاجتماع)، وهذا العمران لديه يعني الاجتماع الإنساني وظواهره، فهو لم يدرس الاجتماع الإنساني إلا بقصد ما يلحقه من العوارض والأحوال واحدة بعد أخرى. لقد تطلع إلى المجتمع من خلال الطفولة والشباب والهرم كما هو الحال بالنسبة للدولة، واشبع هذا الموضوع إشباعاً يكاد يكون متكاملا[48]. اذ كان

يرمي ابن خلدون من وراء دراسته للظواهر الاجتماعية الى الكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر في نشأتها وتطورها وما يعرض لها من أحوال[49]. ويرى الدكتور رأفت غنيمي الشيخ أن ابن خلدون نجح في الاستفادة من خبرته الموسوعية، لاسيما في حقل التاريخ، ليوظفه في وضع أسس علم جديد، بقوله:" لقد اخذ ابن خلدون من الفلسفة نظرتها العقلية التعميمية، ومن التاريخ واقعيته والاستردادية من منهجه ليكون منهما علماً واحداً يجذب فيه التاريخ والفلسفة إلى علم الوقائع حتى لاتحلق في سماء اليوتوبيات وتعمق فيه الفلسفة من التاريخ حتى لايصبح مجرد سرد أخبار"[50]. لقد عمد ابن خلدون عند أوليات تسجيل أفكاره إلى الاهتمام بعلم التاريخ والتركيز على خطورته باعتباره الأساس الوحيد للنظرية الجديدة التي اهتدى إليها، والتي اسماها علم الاجتماع الإنساني والعمران البشري[51]. ومن هنا، يمكننا القول من أن ابن خلدون حاول أن يحلل في كتاباته مظاهر المجتمع البشري (العمران) ويضع للتاريخ فلسفة شاملة، عبر استنباط من حوادثه قوانين عامة تسير عليها البشرية في تطورها[52].

لقد أكد ابن خلدون على الترابط الجدلي بين التاريخ والاجتماع، العلم الذي وضع أسسه، حينما اعتبر التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم. ومن خلال هذا الترابط كون ابن خلدون نظريته في العمران الإنساني التي استندت على قاعدتين: الأولى تتعلق بالتاريخ والثانية تتعلق بالعمران، والأخيرة تعتمد في تأصيل مكوناتها التي تشكل العمران على دقة القاعدة الأولى ومصداقيتها. وعليه فقد اهتم ابن خلدون، قبل كل شي، في تنقية التاريخ من الشوائب التي لحقت به، حينما عمل على وضع

قواعد لفهمه، وأسساً للتميز بين الروايات الصادقة والأخرى الكاذبة. هذه الآلية التي سار عليها في فهمه للتاريخ. جعلت ابن خلدون يضع أسس منهج دقيق في التحليل، ورؤية صادقة في الاستنتاج، استثمره فيما بعد في بلورة أسس العلم الجديد (العمران البشري) [53].

لقد أراد ابن خلدون التأكيد من خلال (مقدمته) على أن العلم الذي وضعه أسسه علم مستقل لان له على حسب المنطق العربي الخواص الحقيقية للعلم المستقل. لأنه يمتلك موضوع خاص، وله مسائله، وله غايته. وكذلك حاول ابن خلدون أن يميزه عن بعض العلوم التي كانت معروفه قبله والتي قد ترتبط به وهي المنطق والبلاغة والسياسة[54]. لان الظواهر الاجتماعية التي درسها لم يتفطن لها احد من قبله، اذ أعادها ، أي الظواهر الاجتماعية، إلى جبرية حوادثها وخضوعها لقوانين التي تخضع لها ظواهر الطبيعية والرياضة، وبالتالي لم يعن من قبله في الكشف عن هذه القوانين[55]. وقد يظهر من أن ابن خلدون لم يخض في التفاصيل الدقيقة للعلم الجديد(العمران البشري)، إلا انه أراد ان تكون هذه العموميات بداية جهد متواصل من بعده من جانب العلماء العرب المسلمين في وضع الأسس والقواعد لهذا العلم. ويعلق الكاتب الهولندي دي بوير(De Boer) على هذه المسالة في كتابه(تاريخ الفلسفة الإسلامية) بالقول: "ابن خلدون اذ يمهد السبيل لعلم جديد، لا يشير الا لمسائله الكبرى ولاينوه بموضوعه ومنهجه الا بالإجمال. وهو يرجع ا نياتي من بعد، فيواصلوا أبحاثه، ويظهروا مسائل جديدة، معتمدين على الفكر الصحيح والعلم المبين" [56].

ومن الواجب الإشارة هنا، إلى أن ابن خلدون، مثل بقية مفكري عصره، لم يكن متخصصاً في حقل معين من حقول المعرفة. ولكن تركيزه على ميدان التاريخ فرضته الظروف التي كانت تحيط به. إلا أن ذلك لم يكن ظرفاً عرضياً، مثلما يحاول أن يظهره البعض[57] ، بقدر ما هو محاولة منه في استقراء الظروف التي أحاطه به لإيجاد قراءة مناسبة يستطيع من خلالها فهم تداعيات المرحلة التي هو فيها. ومن هنا، لم يكن اعتزاله الحياة العامة طوال أربع سنوات(1375- 1379) بقلعة بني سلامة، رغبة منه في كتابة عمل تاريخي فحسب، وإنما أرادها وقفه تأملية يستطيع من خلالها إعادة تنظيم حيثيات المرحلة بما يجعله قادراً على وضع قراءة واقعية تمكنه من العودة إلى الحياة العامة بالصورة التي كان يريدها هو لنفسه.

لقد حاول ابن خلدون من خلال دراسته للتاريخ بحث تطور الظواهر التي يشهدها عهده، لأنه وجد أن الفهم الحقيقي لها يرتبط بضرورة تتبع جذورها، حتى وصلت إلى شكلها الحالي. أي أراد تتبع نشأتها وتطورها من حيث البناء والوظيفة، وذلك بقصد مبادئ وتعميمات تتعلق بالظواهر الاجتماعية موضع البحث. إذ وجد ابن خلدون بضرورة تعقب الظاهرة الواحدة في تاريخ الشعب الواحد على مر فتراته التاريخية المختلفة مع تحري الأمانة والصدق[58]. ويعلق الدكتور محمد عابد الجابري بهذا الخصوص، قائلا:" من هنا بدا اهتمام ابن خلدون بالتاريخ، واهتمامه هذه المرة بأحداث الماضي، ليس من اجل التسلية، أو مجرد العلم بها وبتفاصيلها، بل من أجل استنطاقها، واستيفاء مجرياتها، والاستعانة بذلك على فهم الحاضر"[59] . ويتضح هذا الرأي جليا في كتابه "المقدمة" حينما يتناول موضوع التاريخ بالقول:" حقيقة

التاريخ، انه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشا عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"[60]. وبناءا عليه، نستطيع القول أن ابن خلدون تمكن من توظيف رؤيته الاجتماعية في تكريس البعد التاريخي الذي أراد من خلاله وضع الإجابات الدقيقة لما كانت تعاني منه الأمة آنذاك[61].

كان ابن خلدون مقتنعا بان الظواهر الاجتماعية لاتخضع للمصادفة ولا تسير حسب الأهواء، أو الرغبة الشخصية. وإنما تخضع في نشأتها ونموها وكافة جوانبها لقوانين ثابتة ومطردة. ومن ثم جاء اهتمام ابن خلدون بدراسة الظواهر لا لمجرد وصفها أو بيان ما ينبغي أن تكون عليه، كما كان سائدا من قبله بين المفكرين، وإنما تناولها مع ربطها بالسياق التاريخي وتحليلها بالصورة التي تساعدها على كشف طبيعتها، وما تقوم عليه من أسس وظروف ساعدت على نشأتها وتطورها والقوانين التي تخضع لها وتتحكم في مسارها[62].

أن ابن خلدون من منطلق منهجه ومفهومه الجديد في قراءة التاريخ وربطه بالحاضر، قد جعل المجتمع الإنساني كله مادة لدراسته وتأملاته، وحقلا لتجاربه وتحليلاته، وتتبع الظواهر الطبيعية التي تحيط بالمجتمع وتؤثر فيه في مختلف أحواله وتتابع أطواره، في نشأته الأولى في مرحلة البداوة، وفي استقراره في الحضر، وفي مرحلة الدولة وتأرجحها بين القوة والضعف،

والنهوض والسقوط، والنصر والهزيمة، وأحوال المجتمع وعناصر تكوينه، وأساليب حياته، وأنماط سلوكه، وطرائق سعيه، وما يفضي إلى نضجه ورفاهيته، وما يؤذن بفساده وانحلاله، كل ذلك مع الاهتمام الشديد بنظام الحكم وأسلوبه، والحياة الاقتصادية، والنشاط الثقافي، وتعدد المهن[63].

لقد أراد ابن خلدون من علم العمران البشري، الذي وضع أسسه، أن يظهر من أن الظواهر البشرية شانها شان ظواهر الكون الأخرى تخضع لقوانين تتحكم بها وتحدد مسارها. وبناءاً عليه، أكد ابن خلدون على ضرورة دراستها دراسة وضعية للوقوف على طبيعتها والقوانين التي تحكمها. ومن ثم تناول الظواهر الاجتماعية بالتحليل والتفسير في ضوء سياقها الاجتماعي والثقافي المميز لتاريخ المجتمعات. دون أن يكون متأثراً بآراء مسبقة عنها، ودون أن يكون ملتزما بخط فكري واحد، وإنما الذي التزم به في دراسته التاريخية للظواهر الاجتماعية هو ربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي للمجتمعات البشرية، واعتقاده بان تلك الظواهر الاجتماعية متغيره ولأتثبت على حال واحد، ولكنها تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف العصور التاريخية للمجتمع الواحد أيضاً[64].

آليات التكامل بين علمي التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون:

بعد ان استعرضنا، باختصار، حالة البروز والتميز التي كان عليها ابن خلدون في ميداني التاريخ والاجتماع (العمران)، حيث تمكن بقدراته وإمكانياته أن يكون علامة بارزة في الأول(

علم التاريخ)، في حين كان هو مكتشف الثاني(علم الاجتماع). وهذا ما جعل ابن خلدون يعمل على إيجاد صورة تكاملية بين العلمين على اعتبار إنهما يستقيان معلوماتهما من نفس المصدر، وكلاهما يدرس نفس الحالة (أي الإنسان)، والنتائج عندهما تكمل بعضها البعض.

ان ما نقصد به من آليات التكامل بين علمي التاريخ والاجتماع، ترجع وحدة المصادر وتشابه النتائج ان صح التعبير، وزد على ذلك فان ما يؤكد على التكاملية بين الاثنين، هي شخصية ابن خلدون، فهو الآصرة التي تربط بين الاثنين. فالرجل يجرع إليه الفضل في جعل التاريخ علما له قواعده وأسسه في عصره. وفي هذا يعلق الكاتب الانكليزي روبرت بلنت، بالقول:"إن اول من تعامل مع التاريخ على انه علم قائما بحد ذاته هو محمد ابن خلدون. وقد يختلف البعض في أحقيته في هذا، ولكنه هو بحق مؤسس علم التاريخ"[65]. وقد تفرض ميولي لابن خلدون على أوافق هذا الرأي، ولكنه ليس رائي لوحدي فحسب، فهناك من ذهب في ذات الاتجاه. وفي هذا الصدد كتب الدكتور ساطع الحصري يقول:"إن موضوع التاريخ[66] في نظر ابن خلدون واسع جدا، وهو لا ينحصر في الأزمنة الغابرة؛ بل يشمل كل ما حدث من التحول في الحياة الاجتماعية- على اختلاف مظاهرها- وفي المؤسسات الاجتماعية – على اختلاف أنواعها- فان الأخبار المتعلقة بالأحوال الاقتصادية والصنائع والعلوم أيضاً تدخل في نطاق موضوع التاريخ"[67]. ويضيف هنا الدكتور علي عبد الواحد وافي ، وهو يتحدث عن مقدمة ابن خلدون، قائلا:"وترمي – قبل كل شي- الى تمييز الحق من الباطل في الأخبار عند تدوين

التاريخ، وتسعى الى إيجاد معيار صحيح يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والخطأ فيما ينقلونه من الأخبار والوقائع"[68].

و تتجلى صورة التكاملية بين علمي التاريخ والاجتماع، بما قاله صاحب الشأن، ابن خلدون، حيث يشير إلى الترابط الجدلي بين الاثنين، من حيث وحدة المصدر والغاية والنتائج، اذ علينا ان التذكر أن التاريخ يصنعه الإنسان، وهو ذاته الذي يهتم ويدرسه علم الاجتماع، حين يقول:"اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتآنس، والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشا عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"[69].

ان الانصهار الذي احدث ابن خلدون بين أدوات المؤرخ في تحليل الحدث والنظرة التحليلية للظواهر الاجتماعية في أن يتجاوز الرؤية المحدودة والنظرة القاصرة والموقف الذاتي في فهمه لواقع الحياة، والكيفية التي يمكن من خلالها دراسة الأحداث بطريقة خالف بهخا معاصريه وسابقيه، وفتح الافاق امام من جاء من بعده. وعلينا ان لا ننسى من البيئة التي نشا بها ابن خلدون[70] وتأثيرها على شخصه وعقليته كان لها الدور الكبير في تمكنه من الوصول إلى أقامت جسرا منهجيا كما أشار الدكتور بوبكر عواطي، حين قال:"اقام ابن خلدون جسرا منهجيا بين علمي التاريخ والاجتماع في محاولة جرئية ومبتكرة- في عصره- دراسة وقائع العمران البشري باقصى قدر من الموضوعية حتى لايقع

الدارس في محاذير الاتجاهات الذاتية، التي تورط الباحث عن واقعة اجتماعية، والواقعة الاجتماعية متى حدثت فقد أصبحت عنصرا تاريخيا، لذلك ارتبطت عنده الظواهر الاجتماعية بالصيرورة الزمانية واتسمت بالتعاقب الدائم لتترك بصماتها في سجل التاريخ"[71].

لقد شرع ابن خلدون، من منطلق رغبته في تجنيب المؤرخ الخلل والتضليل، في استخدام التحليل الاجتماعي في الكتابة التاريخية، إذ وجد أنها الوسيلة الوحيدة التي تمكن المؤرخ من المطابقة بين المنقول وبين الواقع المشاهد في التيار الجاري لوقائع العمران البشري، والبحث عن الأسباب والنظر في النتائج. اذ كان ابن خلدون ينظر على أن الإلمام بالقوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية من قبل المؤرخ تساعده في تجنب الكذب وتوفير جانبا من الصدق في الكتابة التاريخية[72].

خلاصة القول، نجح ابن خلدون في إيجاد حالة التكامل بين علمي التاريخ والاجتماع، وهذا الإسهام هو الذي جعله اول من قدم المنهجية المثلى في الدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية. بمعنى انه تمكن من تحقيق مصداقية الكتابة التاريخية عبر التحكم في أصول سلوك وطبيعة الإنسان وأحواله. بمعنى انه اراد ان يتعامل مع النص التاريخي من خلال بعد جديد، غير تقليدي، أي برؤية ترتبط بالجانب الاجتماعي (السوسيولوجي)، وذلك حينما قام بادخال النص التاريخي في موشوره الاجتماعي، محاولا تتبع ثنائية (المثالي والواقعي) في فهم الاحداث. ونتيجة هذا التكامل بين علمي التاريخ والاجتماع جعل ابن خلدون الدراسات التاريخية تحقق قفزه نوعية بمرور الزمن. فهو الذي جعل مفهوم التاريخ

الكامل، وليس الاحادي (السياسي) الذي كان سائد من قبله. ولولا تكاملية التاريخ والاجتماع لما تحقق ذلك.

الخلاصة:

ومن خلال بحثنا: (ابن خلدون وتكاملية علمي التاريخ والاجتماع) نستطيع استخلاص بعض الأمور و يمكن إدراجها بما يلي:

1- أن ابن خلدون قدم لنا صورة متكاملة عن آليات الترابط الوثيق والتكامل بين علمي التاريخ والاجتماع. ولان ابن خلدون لم يكن مؤرخاً تقليدياً مثل الآخرين، بحكم أن اهتمامه في الأساس، بالمادة التاريخية بهدف استخدامها لهدف أسمى. اذ كان يهمه تفسير ما حدث، وليس الحدث بحد ذاته.

2- نال ابن خلدون الاهتمام والتقدير لما قدمه في الحياة الفكرية الإنسانية بعمومها. وهذا ما جعل الكتاب الغربيين المنصفين يشيرون إليه بالأهمية والأسبقية في عصره ومن بعده.

3- كان ابن خلدون أنساناً موسوعياً جمعت إبداعاته في التاريخ والاجتماع صفات قلما نجدها في معاصريه، فهو مفكر ورجل دولة في فترة صعبة من حياة الأمة. لقد تحدث ابن خلدون في العمران البشري والاجتماع والنفس والاقتصاد والسياسة والتعليم... بما قد يجر المتعجل إلى السؤال: من أي تخصص هو؟، فقد عد تارة من علماء الاجتماع وتارة من علماء التربية وأخرى من مفكري السياسة... والواقع، كما نراه، هو أن ابن خلدون كان وفيا للتاريخ، والتاريخ فحسب، شريطة أن يفهم التاريخ بأنه

المجرى الذي يستوعب حركة البشر بكل جوانبها، ويشمل الإطار الزمان والمكان اللذين يحتويان هذه الحركة، إذ من المؤكد أن ابن خلدون كان يؤمن بوحدة حركة الإنسان وتكاملها، وبالتالي كانت حتمية الشمول في نظرة المؤرخ إلى كل جوانب هذه الحركة، تلك الجوانب التي مثل بعضها مقدمات وبعضها الأخر نتائج، مع احتمال تبادل الأدوار أحياناً وفقا لمتغيرات الزمان والمكان[73].

4- لقد أدرك ابن خلدون منذ البداية، مرحلة بلورة الأفكار، أهمية التاريخ. مما جعله يركز على خطورته باعتباره الأساس الوحيد للنظرية الجديدة التي اهتدى إليها، والتي اسماها علم الاجتماع الإنساني والعمران البشري.

5- كان ابن خلدون من اوائل المبشرين بمذهب الحقب التاريخية، فقد تناول بجرأة مسالة قانونية التطور التاريخي للمجتمع، في عصر كان فيه التفكير المنطقي يتعرض للضغط والتعطيل. ويعلق الدكتور محسن محمد حسين بخصوص علو كعب ابن خلدون في علم التاريخ وتأثير ذلك في وضعه أسس علم العمران(الاجتماع)، بالقول:"وما بحث (الدولة) الذي يشغل حوالي ثلث (المقدمة) الشهيرة الا دليل على هذه المهمة التي اضطلع بها هذا المفكر في تاريخ الفكر الاجتماعي"[74].

6- لقد نجح ابن خلدون في بناء جسرا منهجيا بين علمي التاريخ والاجتماع في محاولة جريئة ومبتكرة، في عصره، لدراسة وقائع العمران البشري بأقصى قدر من الموضوعية حتى يتجنب طغيان العامل الذاتي عليه، والذي كثيرا ما يدفع الكاتب في مزالق الخطأ. كان ابن خلدون يرى أن الواقعة التاريخية هي في حقيقتها خبر

عن واقعة اجتماعية متى حدثت فقد أصبحت حدثا تاريخياً، لذلك ارتبطت عنده الظواهر الاجتماعية بالصيرورة الزمانية واتسمت بالتعاقب الدائم لتترك بصماتها على التاريخ.

7- تمكن ابن خلدون في علمي التاريخ والاجتماع، ساهم في تطور قدرته على فهم الواقع وتحليل الظواهر الاجتماعية المتحكمة في المجتمع. ونتيجة هذه الخاصية استجمع ابن خلدون عقلية المؤرخ الذي يناقش الأحداث بتحليل اجتماعي.

8- نجح ابن خلدون في ايجاد حالة التكامل بين علمي التاريخ والاجتماع، وهذا الاسهام هو الذي جعله اول من قدم المنهجية المثلى في الدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية.

الهوامش:

1. عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، بيروت، دار العلم للملايين، 1982، ط4، ص 706-707؛ احمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، بلا تاريخ نشر، ص33.
2. قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1990، الطبعة الاولى، ص 61-62.
3. عبد الواحد ذنون طه، اصول البحث التاريخي، بيروت، دار المدار الاسلامي، 2004، الطبعة الاولى، ص 61-62.
4. قاسم يزبك، المصدر السابق ، ص 63-64.
5. نقلا عن: المصدر السابق ، ص 64.
6. فاطمة قدوره الشامي، علم التاريخ ... تطور مناهج الفكر وكتابة البحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين، بيروت، دار النهضة العربية، 2001، ط1، ص 195-196.
7. نقلا عن: عبد الواحد ذنون طه، المصدر السابق ، ص 62. وينظر كذلك: قاسم يزبك، المرجع السابق، ص 64.
8. علي الوردي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، لندن، دار كوفان، 1994، الطبعة الثانية، ص 11.
9. دانتي اليجيري Dante Aligheri شاعر ايطالي، يعد باتفاق الآراء المبشر الأول للنهضة، ولد في فلورنسا في عام 1265، ودرس في جامعات بادوا وبولونيا الايطالية، ثم سافر الى فرنسا ثم عاد الى فلورنسا، حيث دخل معترك السياسي، وعمل في حكومة المدينة، وعرف بحيويته وحبه للعمل وإخلاصه لوطنه، وانتخب في شهر جوان من عام 1296 عضواً في مجلس المائة، وفي يوم 15 جوان من عام 1300 انتخب مستشاراً، وكان يميل للاتجاهات المعارضة حتى حكم غيابياً، وظل يعيش بعيداً عن مسقط رأسه حتى وافاه الأجل حيث دفن في رافينا. وتعد الكوميديا الإلهية(Devina Commedia) أهم نتاج قدمه دانتي للبشرية، وهي ملحمة شعرية تتألف من (أربعة عشر إلف بيت)،

تخيل فيها دانتي انه انتقل إلى العالم الآخر ماراً بالنار (الجحيم) والمطهر (الأعراف) والجنة (الفردوس). للتفاصيل ينظر: هـ. فيشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، القسم الثاني، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني وابراهيم احمد العدوي، القاهرة، دار المعارف، 1966، الطبعة الثالثة، ص 265-268.

10. روجر بيكون(1214-1294) مفكر انكليز ولد في لندن، ودرس في اكسفورد، ثم سافر إلى باريس واستقر بها قرابة ثمان سنوات، ثم عاد بعدها الى باريس من جديد بسبب آرائه العلمية التي لاقت رفضا من قبل معارضيه. أكد على ان المعرفة تقوم على ثلاث أمور، هي: النقل، الاستدلال والتجربة. وكان مؤمنا إيمان مطلق بأهمية التجربة في العلم ومصدر تطوره، له عدد من المؤلفات، منها: كتاب(المغناطيس)، ورسالة(تركيب جديد للإسطرلاب). ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص 129-134.

11. Robert Flint, History of the Philosophy of history, william blak wood and Sons, London, 1894, p.86.

12. ابن حجر العسقلاني. شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، المجلد الثالث، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، بلا تاريخ نشر، ص159.

13. ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بانباء العمر، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، القاهرة، لجنة احياء التراث الاسلامي، 1994،ص 340.

14. علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمن بن خلدون حياته واثاره ومظاهر عبقريته، القاهرة، مكتبة مصر، بلا معلومات اخرى، ص7.

15. القرافي. بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر، **توشيح الديباج وحلية الانتهاج**، تحقيق: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004، الطبعة الرابعة، ص 99-101؛ ابن القاضي. ابي العباس احمد بن محمد المكناسي، **درة الحجال في اسماء الرجال**، الجزء الثالث،

تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور، القاهرة، المكتبة العتيقة ودار التراث، بلا معلومات اخرى، ص 84-85.

16. ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ص339.
17. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، عالم المعرفة، 1981، ص 54.
18. عن رحلاته وانتقالاته في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، ينظر: السخاوي. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء الرابع، بيروت، دار الجيل، بلا معلومات أخرى، ص 145-146.
19. عن زيارته واقامته في مدينة غرناطة ينظر: بن الخطيب. لسان الدين ابي عبد الله محمد، الاحاطة في اخبار غرناطة، القسم الرابع، مراجعة وتقديم وتعليق: بوزياني الدراجي، الجزائر، دار الامل للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص: 520-538.
20. ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ص339.
21. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 517.
22. مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، 1992، الطبعة الثالثة، ص21.
23. السخاوي، المصدر السابق، ص: 149.
24. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 517.
25. المصدر نفسه.
26. علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص134.
27. السخاوي، المصدر السابق، ص 146.
28. القرافي، المصدر السابق، ص ص: 101.
29. علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص134.
30. مقدمة الدكتور عبادة كحيلة في كتاب: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الأول، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافية، 2007، ص 22-23.

31. ينظر على سبيل المثال: طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية... تحليل والنقد، ترجمة: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1925، ط1، ص35؛ عبادة كحيلة، المصدر السابق ، ص 23.
32. سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1998، ص 38.
33. بن خلدون. عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ضبط\ المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص6.
34. المصدر نفسه، ص13.
35. مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 40.
36. عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص 23-24.
37. David S. Landes and Charles Tilly (ed.), History As Social Science, London, Prentice-Hall, 1971, p. 5-6.
38. محمد عابد الجابري، فكرة ابن خلدون ... العصبية والدولة معالم نظرية ابن خلدونية في التاريخ الإسلامي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، الطبعة السادسة، ص 91.
39. محمد الطالبي، منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر، بحث منشور في كتاب:(ابن خلدون والفكر العربي المعاصر) تونس، الدار العربية للكتاب، 1980، ص 27؛ سالم حميش، المرجع السابق، ص 51.
40. محمد عابد الجابري، المصدر السابق ، ص 92-93.
41. جورج لابيكا، تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون، ترجمة: شبيب بيضون، مقال منشور في مجلة: دراسات عربية، العدد 6، السنة 1986، بيروت، ص 90.
42. بوبكر عواطي، الجسر المنهجي بين علم الاجتماع والتاريخ عند ابن خلدون، بحث منشور في مجلة: الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 6، 2005، قسنطينة، ص 115.
43. محمد عابد الجابري، المصدر السابق ، ص 94.
44. المرجع نفسه ، ص 97.

45. محسن محمد حسين، طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، اربيل، مؤسسة موكرياني للدراسات والنشر، 2012، الطبعة الاولى، ص68-69.
46. ينظر على سبيل المثال: محمود إسماعيل، نهاية أسطورة ... نظرية ابن خلدون مقتبسه من رسائل أخوان الصفا، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
47. للمزيد من التفاصيل، ينظر: عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص 25.
48. قاسم يزبك، المرجع السابق، ص 62.
49. علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 146.
50. رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، القاهرة، دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1988، ص40.
51. مصطفى الشكعة، المرجع السابق ، ص 38.
52. محسن محمد حسين، المرجع السابق، ص 69.
53. مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 51.
54. طه حسين، المرجع السابق، 51.
55. علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص148.
56. نقلا عن: ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، القاهرة، مكتبة الخانجي ودار الكتاب العربي، 1967، الطبعة الثالثة، ص258-259.
57. يحاول الدكتور بوبكر عواطي أن يظهر علاقة ابن خلدون بالتاريخ جاءت بمحض الصدفة ليس أكثر مستندا في ذلك إلى أن كل الكتب التي كتبها تدل على خلاف ذلك، حين كتب يقول:"ان التقاء ابن خلدون بالتاريخ كان اذن عرضا في حياته، ومنعرجا مفاجئا بقدر ما كان حاسما. هذا المنعرج كان في ملتقى طريقين: طريق المغامرات السياسية وطريق التامل في الماضي قريبه وبعيده". ينظر: بوبكر عواطي، المرجع السابق، ص 114.
58. احمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1982، ص41.
59. محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 92.

60. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 34.
61. محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 26.
62. بوبكر عواطي، المرجع السابق ، ص 116.
63. مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 52.
64. بوبكر عواطي، المرجع السابق ، ص 116 – 117.
65. Robert Flint,op.cit, p.157.
66. حول التاريخ ومهمة المؤرخ عند ابن خلدون، ينظر: ساطع الحصري، المرجع السابق، ص 264-278.
67. المرجع نفسه، ص 264.
68. علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص170.
69. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 69.
70. للتفصيل ينظر: ناصر الدين سعيدوني، اين كتب ابن خلدون مقدمته؟، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 3، ديسمبر 2008، معسكر، ص:12-13.
71. بوبكر عواطي، المرجع السابق، ص: 117.
72. المرجع نفسه، ص: 118-119.
73. عبادة كحيلة، المرجع السابق ، ص 13.
74. محسن محمد حسين، المرجع السابق، ص 70.

المصادر والمراجع:

- ابن الخطيب. لسان الدين ابي عبد الله محمد، الاحاطة في اخبار غرناطة، القسم الرابع، مراجعة وتقديم وتعليق: بوزياني الدراجي، الجزائر، دار الامل للدراسات والنشر والتوزيع، 2009.
- ابن القاضي. ابي العباس احمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في اسماء الرجال، الجزء الثالث، تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور، القاهرة، المكتبة العتيقة ودار التراث، بلا معلومات اخرى.
- ابن حجر العسقلاني. شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، المجلد الثالث، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، بلا تاريخ نشر.
- ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بانباء العمر، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، القاهرة، لجنة احياء التراث الاسلامي، 1994.
- ابن خلدون. عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- ابن خلدون ... كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الأول، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافية، 2007.
- احمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1982.

- بوبكر عواطي، الجسر المنهجي بين علم الاجتماع والتاريخ عند ابن خلدون، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 6، 2005، قسنطينة.
- جورج لابيكا، تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون، ترجمة: شبيب بيضون، مجلة دراسات عربية، العدد 6، السنة 1986، بيروت.
- جورج لابيكا، تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون، ترجمة: شبيب بيضون، مقال منشور في مجلة: دراسات عربية، العدد 6، السنة 1986، بيروت.
- رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، القاهرة، دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1988.
- سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1998.
- ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، القاهرة، مكتبة الخانجي ودار الكتاب العربي، 1967، الطبعة الثالثة.
- طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية... تحليل والنقد، ترجمة: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1925، الطبعة الاولى.
- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، عالم المعرفة، 1981.
- عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2004، الطبعة الأولى.
- علي الوردي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، لندن، دار كوفان، 1994، الطبعة الثانية

- علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمن بن خلدون حياته واثاره ومظاهر عبقريته، القاهرة، مكتبة مصر، بلا معلومات اخرى.
- عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، بيروت، دار العلم للملايين، 1982، الطبعة الرابعة.
- فاطمة قدوره الشامي، علم التاريخ ... تطور مناهج الفكر وكتابة البحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين، بيروت، دار النهضة العربية، 2001، الطبعة الأولى.
- قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1990، الطبعة الأولى.
- القرافي. بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر، توشيح الديباج وحلية الانتهاج، تحقيق: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004، الطبعة الرابعة.
- محسن محمد حسين، طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، اربيل، مؤسسة موكرياني للدراسات والنشر، 2012، الطبعة الأولى.
- محمد الطالبي، منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر، بحث منشور في كتاب:(ابن خلدون والفكر العربي المعاصر) تونس، الدار العربية للكتاب، 1980.
- محمد عابد الجابري، فكرة ابن خلدون ... العصبية والدولة معالم نظرية ابن خلدونية في التاريخ الإسلامي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، الطبعة السادسة
- محمود إسماعيل، نهاية أسطورة ... نظرية ابن خلدون مقتبسه من رسائل أخوان الصفا، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

- مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، 1992، الطبعة الثالثة
- مقدمة الدكتور عبادة كحيلة في كتاب: تاريخ ابن خلدون ... كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الأول، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافية، 2007.
- هـ. فيشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، القسم الثاني، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني وابراهيم احمد العدوي، القاهرة، دار المعارف، 1966، الطبعة الثالثة،
- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
- ناصر الدين سعيدوني، اين كتب ابن خلدون مقدمته؟، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 3، ديسمبر 2008، معسكر،
- David S. Landes and Charles Tilly (ed.), History As Social Science, London, Prentice-Hall, 1971.
- Robert Flint, History of the Philosophy of history, William Blak Wood and Sons, London, 1894.